

أمن وسلامة أطفالنا وحمايتهم من الإرهاب



أصبح الإرهاب، وما يرتبط به من عنف وتطرف وترويع وجريمة منظمة، وما يستتبعه من خوف ورعب ومقاومة مسلحة واختطاف رهائن وطائرات وقتل وتدمير، أصبح من أهم سمات العالم المعاصر الذي نعيش فيه.. ففي كل يوم نجد أخبار الإرهاب تملأ الصحف والمجلات ونشرات الأخبار، وفي كل مكان على سطح الكرة الأرضية نجد حوادث الاختطاف واحتجاز الرهائن وقتلهم تجري وأصوات المفرقات تدوي، وأصبح ضحايا الإرهاب في كل مكان بالآلاف، ولمَ لا؟! فالإرهاب لا قلب له، ولا وطن يسكن ويستقر فيه، ولا وقت محدد له، لأنك تجد بين الضحايا الغني والفقير، والمسيحي والمسلم واليهودي واللاتيني وعابد البقر، والطفل والشاب والرجل والشيخ العجوز والفتاة والمرأة، وقد يحدث الإرهاب والناس نيام لا حول لهم ولا قوة، وقد يحدث في وضح النهار، لا تفرقة بين الآمنين والمسلحين، ولا تفرقة بين الهدف والضحية، الكل أمام خندق وميدان الإرهاب سواء بسواء.

وإذا كان الإرهاب قد استقر في وجدان الإنسانية منذ قديم الزمن، فقد واجهته البشرية منذ ظهوره، ومازالت تواجهه حتى الآن، إلا أن هناك بعض الدول قد اكتوت أكثر من غيرها بنيران الإرهاب، وهناك من المجتمعات من وجَّهته قوته ووضع أولوياته لمواجهة الإرهاب، فإن هناك مجتمعات لم تحس بالإرهاب

إلا أخيراً، مثل الولايات المتحدة الأمريكية، التي ظنّت أنها بمعزل عن العالم بدّعدها عنه ويقولونها الجبّارة وبأمنها المستتب، إلا أنها صعقت يوم الحادي عشر من سبتمبر 2001، بأنها في وسط المعركة، وأنّ نيران الإرهاب تجتاحها، فاستيقظت، وحاولت أخذ زمام المبادرة من جديد، وبدأت تقود حملة دولية لمكافحة الإرهاب بمفهومها هي، وهاهي مازالت تبدأ أولى خطواتها لمحاربة الإرهاب ومواجهته على المستوى الدولي.

وقبل أن نبدأ مقالنا هذا عن حماية أطفالنا من الإرهاب، يستحب أن نتعرف على بعض مفاهيم الإرهاب، وما تجسده من وضوح الرؤية:

- الإرهاب هو كل استخدام أو تهديد باستخدام عنف غير مشروع يتسبب في حالة من الخوف أو الرعب بقصد تحقيق تأثير أو السيطرة على فرد أو مجموعة من الأفراد أو حتى المجتمع بأسره وصولاً إلى هدف معيّن يسعى الفاعل (الفرد أو الجماعة الإرهابية) إلى تحقيقه، كما أنّ العمل الإرهابي يتكوّن من عناصر رئيسية لابدّ من توافرها، مثل: استخدام أو تهديد باستخدام العنف على وجه غير مشروع أو غير مألوف ويقوم به فرد أو مجموعة من الأفراد أو من الدولة ذاتها، ويوجه ضد فرد أو مجموعة من الأفراد أو ضدّ المجتمع بأسره ويهدف إلى خلق حالة من الرعب والفرع، ويثبت رسالة ما ويخلق تأثيراً نفسياً معيّناً يسمح بالتأثير على المستهدفين من العمل الإرهابي، وعادة ما يتجاوز العمل الإرهابي حدود الهدف المباشر الذي لا يكون له أدنى علاقة بقضية الإرهابيين.

- الإرهاب أحد مظاهر العنف الاجتماعي، وعليه فهو ظاهرة مركبة ومتعددة الأبعاد، يختلط فيها العنصر النفسي بالعناصر الاجتماعية والمادية والثقافية والسياسية والتاريخية، ولذلك نميل لتعريف الإرهاب بأنّه "التهديد باستخدام أو استخدام منهج منظم لكل ما من شأنه الإضرار البدني والفكري والنفسي والسياسي والاجتماعي لبعض الأفراد أو لجسم المجتمع ولا يتطلب الإرهاب تحديداً دقيقاً للأهداف، حيث إنّ الآثار النفسية للعمليات الإرهابية غالباً ما تفوق الآثار المادية التي قد لا تكون مرتبطة بالقضية الأساسية، وعليه فإنّ الهدف التكتيكي للعمل الإرهابي هو خلق مناخ من الخوف والرعب يمكن القائمين على العمل أو التنظيمات التابعين لها من تحقيق أهداف استراتيجية يكون طابعها الابتزاز السياسي الذي قد يصل لمحاولة الاستيلاء على السلطة بالقوة، وحينئذ يصعب التفريق بين مفهوم الإرهاب وبعض أشكال العنف السياسي".

- وإذا بحثنا عن معنى الإرهاب في القواميس اللغوية والمعاجم والموسوعات من أجل تكامل البحث عن هذا المفهوم، سنجد أنّ الإرهاب شملته أغلب هذه الموسوعات والمعاجم والقواميس، وأشارت إليه على النحو

- ففي المعجم الوجيز، أَرَهَبَ فلاناً أي خوفه وفزع، و"الإرهابيون" وصف يطلق على الذين يسلكون سبل العنف والإرهاب لتحقيق مطامعهم وأهدافهم السياسية.

- وفي معجم "مختار الصحاح"، نجد أن "رهَبَ أي خاف، ويقال رهبوت خير من رحموت، أي لأن ترهب خير من أن ترحم، وأرهبه واسترهبه أي أخافه.

- وفي موسوعة السياسة، يتضمن معنى الإرهاب "استخدام العنف غير المقنن أو التهديد باستخدامه بمختلف أشكاله وصورة كالإغتيال أو التشويه أو التعذيب أو التخريب أو النفس، وذلك بغية تحقيق هدف سياسي معين، وهو بشكل عام وسيلة من وسائل الحصول على السلطة أو المعلومات أو المال واستخدام الإكراه للوصول لإخضاع الآخرين".

- وفي القاموس السياسي، يشار إلى معنى الإرهاب بأنه "محاولة نشر الذعر والفرع لأغراض سياسية، كما أن الإرهاب وسيلة تستخدمها حكومة استبدادية لإرغام الشعب على الخضوع والاستسلام لها كحكومة الإرهاب إبان الثورة الفرنسية عام 1793".

- وفي قاموس العلوم الاجتماعية، يتضمن معنى الإرهاب ما يلي: "هو نوع خاص من الاستبداد غير المقيد بقانون أو قاعدة ولا يعير اهتماماً بمسألة أمن ضحاياه، وهو يوجه قوّته إلى أهدافه المقصودة بقصد خلق جو من الرعب والخوف وتقليل فعالية الضحايا ومقاومتها".

- وفي المعجم العربي الحديث، نجد أن كلمة إرهاب تعني "الأخذ بالتعسف والتهديد"، كما أن الحكم الإرهابي هو "الحكم القائم على أعمال العنف".

- بينما تشير كلمة إرهاب في قاموس إكسفورد إلى "أي شخص يحاول أن يدعم آراءه بالإكراه أو التهديد أو الترويع".

ومن هنا، نتبع أهمية حماية أطفالنا من الإرهاب وضمان أمنهم وسلامتهم، ولـمَ لا؟! فالأطفال هم الأمل وقلذات الأكياد ولا بدّ أن نضعهم في منظورنا، من أجل حمايتهم من كل أنواع العنف والإرهاب والترويع والتطرف: فحماية أطفالنا من الإرهاب وضمان أمنهم وسلامتهم مسؤولية تقع على الجميع، لأن حماية الأطفال

من الإرهاب تعني حماية المستقبل وحماية الأمل، وحماية الأطفال من الإرهاب هي حماية مزدوجة، أي وقاية وأمان من العمليات الإرهابية، وعلى الأسرة دور كبير في حماية أطفالهم من الإرهاب؛ ولكن هناك دوراً أيضاً للكبار والأُمّهات والمعلّـّمات والمُشرفات، لأنّ الجميع مسؤول مسؤولية كاملة عن أمن الأطفال وحمايتهم ضد أي إرهاب محتمل، وذلك بتأمينهم وإزالة الخوف عنهم وتحفيزهم للدفاع عن أنفسهم وغير ذلك من طرق حماية الطفل وأمنه، ومنها:

- لا بدّ أن تعلم الأُم ويعلم الأب أنه مهما كان المكان الذي يعيشان فيه، فإنهما مسؤولان عن أمن أطفالهما، لأنهم مجرد أطفال والكبار مسؤولون عن تأمين كل الأنشطة التي يقومون بها، ولا بدّ أن يعلم الجميع أنّ الأب أو الأُم لن يكونا مع الأطفال طوال الوقت، وبالتالي عليهما تعريف الأطفال بكيفية التصرف في مختلف المواقف، خاصة تلك المواقف التي تتطلب منهم اتخاذ قرار ما، من هنا ينبغي عدم إخفاء الحقائق عن الأطفال، كما ينبغي أن نناقش معهم الأمور المتعلقة بأمنهم وأمن الأسرة عامّة، ولا بدّ من التأكد من أنهم يتفهّمون ويقدرّون الحاجة إلى برنامج الأمن الشخصي، ومن ثمّ فإنّ تأمين ومتابعة نشاط الأطفال عند الانتقال للمعيشة أو العمل في بلد آخر لا يمثل شيئاً جديداً أو غريباً، وكل ما هنالك أنّ الأب والأُم مطالبان بزيادة الحذر عندما تكون الأسرة في بيئة بها نشاط إرهابي.

- وقد يتطلب الأمر الحد من بعض الأنشطة التي يقوم بها الأطفال، والنصيحة تكون بمعاملة الأطفال كأنهم كبار في كل ما يتعلق بأمن الأسرة، فيمكن شرح أسباب الحد من أنشطة معينة يودّ الأطفال القيام بها، لأنهم إذا تفهّموا الأمر فسينفذون التعليمات. أمّا إذا حدث العكس، فقد يراودهم إحساس بأنهم يتعرضون لظلم أو تعسف أو قيود غير ضرورية، أو قد يرون في تلك القيود مجرد عقاب يوقع عليهم. ومن هنا، تأتي الكوارث. وعلى ذلك، فإنه من الضروري أن يفهم كل فرد من أفراد الأسرة أنّ الحياة في بيئة إرهابية، أو قريبة من موطن إرهابي، ستكون مختلفة عنها في بيئة عادية، وأنها تتطلب تحضيرات من كل منهم بمن فيهم الأطفال.

- وحيث إنّ الأطفال يمضون معظم وقتهم في المدارس، فإنّ علينا أن نجد لهم مدرسة لا تقدم التربية الجيدة فحسب، وإنما توفر لهم أمناً جيداً كذلك، وينبغي الاتفاق مع إدارة المدرسة على عدم السماح للتلميذ بمغادرتها إلّا بعد الاتصال بوالديه أو الشخص الذي يحدده الوالدان لتسلم التلميذ من المدرسة خلال ساعات الدراسة، وعلى إدارة المدرسة أن تتأكد من شخصية أي إنسان يطلب من خلال التليفون السماح لتلميذ معين بالخروج قبل انتهاء اليوم الدراسي. وإذا راود الإدارة أي شك، فعليها ألاّ تسمح بخروج التلميذ بأي حال من الأحوال. وإذا خرج التلاميذ في رحلة أو غيرها، فينبغي أن تقوم إدارة المدرسة بمراقبة الأشخاص، الذين يتسكعون حول المدرسة أو بالقرب منها، فإذا اشتبهت في أي منهم،

فينبغي إبلاغ الشرطة فوراً، على أن تزودهم بأوصاف الشخص المشتبه فيه.

- عليكم أن تنصحوا أطفالكم باتخاذ خطّ السير الذي ترونه أكثر أمناً من وإلى البيت والمدرسة، وأكثر خطوط السير أمناً هو ذلك الذي يمر بشوارع مليئة بالناس والأطفال الآخرين.

- ينبغي التعرفُف على أصدقاء الأطفال ومراجعة خلفياتهم وأسرهم وعائلاتهم، كما ينبغي أن تخضع أنشطة الأطفال خارج المنزل للضوابط نفسها التي يخضع لها نشاط الكبار خارج المنزل، إذ يتعين على الأطفال أن يحذروا الذهاب إلى أماكن ومناطق مجهولة بالنسبة إليهم، خاصة في أوقات معينة من النهار أو الليل، وكل ذلك يوفر لهم قدراً من الحماية إزاء الهجمات الإرهابية العشوائية ضدّ الأطفال أو الفتيان، ومرّة أخرى ننصح بمراجعة نشاط أطفالهم خارج البيت، وأن تعمل بقوة وحزم على الحد من الأنشطة التي تنطوي على أخطار مختلفة على حياتهم.

- ونلاحظ أنّ الأطفال يملكون ذكاء وقدرة على التصرف أكبر مما يراه آباؤهم وأُمّهاتهم فيهم، فالأطفال في بعض الأحيان يستطيعون اتخاذ القرار السليم في الوقت السليم، ويكتسب الأطفال، بمرور الوقت، مهارات جديدة تمكّنهم من النجاة مما قد يتعرضون له من أخطار؛ ولكنّ المشكلة تكمن في قلة الخبرة وعدم القدرة على التصرف إزاء موقف يواجههم لأول مرّة، ولذلك، فهناك ضرورة لتزويدهم بما هو ضروري وملائم من المعلومات، ولابدّ من منحهم الثقة وجعلهم يثقون في قدرتهم على التصرف السليم.

- لابدّ من العلم بأنك إذا نجحت في تنفيذ برنامج الأمن الشخصي، فإنّ أطفالك سوف ينعمون بإقامة طيبة أينما كانوا، وبطفولة سعيدة أيضاً.

- عليك أن تشجع أطفالك على التحدث إليك عن أي مشكلات أو أُمور تتعلق بالأمن، ولابدّ من تحذيرهم من الاقتراب من أي سيارة غريبة أو الدخول فيها، بل يجب تحذيرهم من الخروج مع أي شخص يدّعي أنه جاء من طرف الأبوين ليأخذهم من المدرسة أو من عند الأصدقاء.

- لابدّ من تحذير الأطفال من عدم اللعب في أماكن خالية أو مهجورة، ولابدّ من تشجيعهم على اللعب مع أطفال آخرين.

- بالنسبة للأطفال الأكبر سناً، قد يتركون المنزل وحدهم ولو لفترة وجيزة، فلا بدّ من متابعة سيرهم ومواعيدهم بدقة للاطمئنان.

- يتم تنبيه الأطفال بعدم تزويد أي متحدث على التليفون بأي معلومات خاصة عن أسمائهم وعناوين سكنهم، وعليهم في كلّ الحالات أن لا يخبروا المتحدث بأنهم وحدهم في المنزل، ومن الأفضل عدم قيام الأطفال بالرد على الهواتف إلا إذا كان هناك اتفاق على مكالمة معينة في وقت محدد.

- ابتداء من سن الرابعة أو الخامسة ينبغي أن يعرف الأطفال كيفية طلب الشرطة تليفونيا لطلب النجدة، والتأكد من وجود أرقام الطوارئ قريبة من جهاز التليفون في مكان واضح، ولا يترك الأطفال بمفردهم دون تحديد الشخص الذي يمكنهم الاتصال به في حالات الطوارئ، اترك لهم رقم تليفونك وتليفون مَن تثق بهم.

- لا بدّ أن يعرف الأطفال الأشخاص المسموح لهم بدخول البيت أثناء غياب الأب أو الأم، والتأكيد عليهم بعدم دخول الغرباء المنزل لأي أمر كان.

- ضرورة إعداد خطة لمواجهة أي أمر لا يطيّب للإنسان التفكير فيه، مثل اختفاء الطفل أو الطفلة، ولا بدّ من التنبيه على المدرسة بإخطارك فوراً في حال عدم حضور طفلك للمدرسة أو تأخره لأي سبب كان.

- وهناك العديد من الإرشادات لحماية الأطفال من الإرهاب، ومنها: ترك أبواب غرف الأطفال مفتوحة حتى يمكن سماع أي صوت غير عادي يحدث فيها، عدم ترك الأطفال الصغار بمفردهم في المنزل، التنبيه على الأطفال بغلق الأبواب والنوافذ وعدم السماح لأي غريب أو غير معروف لديهم بدخول المنزل نهائياً بأي حجة مثل فحص الكهرباء أو المياه أو الهاتف إلا بعد موافقة الأب أو الأم، وتعريف الأطفال كيفية الاتصال بالشرطة في حال وجود أشخاص يحاولون اقتحام المنزل أو وجود غرباء يحومون حول المنزل، وضرورة الإضاءة الجيدة للمنزل، والتنبيه على الخدم بعدم السماح للغرباء أياً كانوا بدخول المنزل، والإشراف الكافي من المشرفين على كل الأنشطة المدرسية، وتنقل الأطفال في مجموعات أو أفواج أثناء الرحلات والزيارات، ورفض مرافقة أي غريب أثناء هذه الرحلات، واستخدام المناطق المخصصة للعب لحماية الأطفال، والإبلاغ عن الأشخاص الذين يضايقون الأطفال وتوفير تليفونات محمولة للاطمئنان الدائم على الأطفال أثناء الرحلات، والبُعد عن أماكن المشاجرات والصراعات والمشاحنات والعصابات والمظاهرات والعنف والاضطرابات بأي صورة من الصور، وغيرها من الوسائل.